اقتران الرضا بالإيمان بالقدر

اقتران الرضا

بالإيمان بالقدر

لا يبلُغُ عَبْدٌ حقيقةَ الإيمان « حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَه ».[1]

فالإيمانُ بـ (القَدَرِ) رُكْنٌ من أركانِ الإيمانِ باللهِ، لا يَصِحُّ الإيمانُ إلاَّ به.

وقد سَأَلَ جبريلُ الرَّسولَ ﷺ عن الإيمانِ، والناسُ جُلوسٌ عند رسولِ اللهِ ﷺ، كما سَأَلَهُ عن: الإسلامِ، والإحسانِ، والسَّاعَةِ؛ لِيُعَلِّمَ الناسَ دِينَهم.

فأجابَهُ الرسولُ ﷺ حيث قال:

« الإيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ».[2]

فالإيمانُ بالقَدَرِ إيمانٌ بأنَّ اللهَ قَدْ عَلِمَ وَأَحَاطَ بمقاديرِ الأشياءِ وأحوالِها التي ستكونُ عليها، من مَبْدأ ونهايةٍ، وقُوَّةٍ وضَعْفٍ، وخَيْرٍ وَشَرٍّ، وما تقعُ فيه من زمانٍ ومكانٍ، وما يسبقُها من مُقدِّمَاتٍ، وما يَتْبَعُهَا من آثارٍ، إلى غير ذلك، بحيثُ يكون إيجادُها ـ بَعْدَ عِلْمٍ ـ وَفْقَ ذلك العلم.

فلا يقعُ مِثقالُ ذَرَّةٍ في السماواتِ ولا في الأرض، ولا أصْغَرُ من ذلك

---

(1) الترمذي: كتاب القدر، وقال: حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَيْمُونٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ.

(2) مسلم: كتاب الإيمان.

ولا أَكْبَرُ، إلاَّ طبقاً لما أحَاطَ به علمُه، وسَبَقَ بِهِ كتابُه.

والإيمانُ بالقَدَرِ ـ على هذا النَّحْوِ ـ لَهُ آثارُه في استِقَامَةِ الإنسان واعتدالِهِ، ورِضَاهُ عن ربِّه في جميع أحوالِه.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾.[1]

ولَعَلَّنَا نَلْحَظُ مَا يكونُ للإنسانِ من استقامةٍ واعتدالٍ حينَ يَسْلَم من أَسَىً وبَطَرٍ يُصيبُ مَنْ لا يُؤمِنُ بالقَدَرِ.

اعتدالٌ واستقامةٌ في مواجهةِ أحداثِ الحياة المتباينةِ، من عُسْرٍ ويُسْرٍ، وشِدَّةٍ ورَخَاءٍ.

والإنسانُ ـ وهُو يَرْجُو أنْ يَنْجُوَ من فتنةِ الحياة، وفِتنة المماتِ ـ لا يُعْصَمُ منهما إلاَّ برِضَاهُ عن ربِّه، وإيمانِه بقَدَرِه.

إذْ مَن ذَا الذي يَعْصِمُ الإنسانَ من طُغيانٍ إنْ هُوَ استَغْنى ؟

وَمَنْ ذَا الذي يَعْصِمُهُ من ذُلٍّ وهَوَانٍ إنْ فَاتَهُ المطلوبُ أَوْ أَبْطَأَ المَرْغُوبُ ؟

عِنْدَئِذٍ يكونُ **الرِّضَا** عن الله ـ في جميعِ الأحوال ـ أَصْلٌ في الاستقامَةِ، والتوازُن، والاعتدال.

والنَّاسُ يَمُرُّونَ بِفِتَنٍ أمواجُهَا كالجبالِ، يُصْرَعُ الإنسانُ فيها باليُسْرِ، كما يُصْرَعُ بالعُسْرِ، ويُفْتَنُ بالخَيْرِ، كما يُبْتَلَى بالشَّرِّ.

---

(1) الحديد: ٢٢، ٢٣.

والتوازُنُ والاعتدالُ هما السَّبيلُ لِنَجَاتِهِ من حَسْرَةٍ مُقْعِدَةٍ على مَفْقُودٍ، أو بَطَرٍ مُدَمِّرٍ لِحُصولِهِ على مَرْغُوبٍ.

الرِّضَا عن ربِّه، والإيمانُ بِقَدَرِهِ هما السَّبيلُ.

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَىٰكُمْ ﴾.[1]

وَلَكِنْ.. كيف يحافظُ الإنسانُ على نِعمةِ الرِّضا ؟

* * *

(1) الحديد: ٢٣.